

أخلاقيات فعل الرقابة عند ميشال فوكو

The ethics of the act of censorship according to Michel Foucault

¹لوط تالية، موسى عبد الله²¹جامعة مولاي الطاهر سعيدة ، lottalia20@gmail.com²جامعة مولاي الطاهر سعيدة ، pr-moussa@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/09/30 تاريخ القبول: 2023/02/08 تاريخ النشر: 2023/03/05

الملخص:

حدث مع ميشال فوكو (1926 - 1984 Michel Foucault) بداية القرن التاسع عشر تغيير كبير في أساليب السلطة وآلياتها، بحيث انتقلت السلطة من استعمال الطرق الانضباطية القائمة على المعاقبة، إلى استعمال طرق تنظيمية قائمة على المراقبة، بحيث أصبحت هذه الطبقة تمارس تنظيمًا كاملاً لمختلف مظاهر الحياة ذات البعد الاجتماعي، وتنظيم العلاقات العامة بين الناس، وحفظ الأمن، والعمل على توفير كل متطلبات الحياة، وفق ما يتماشى مع الاستراتيجية الحديثة، والنظرية العقابية الجديدة أمام تنظيم السلطة، وهذه التقنيات الفيزيائية تظهر في عملية تقسيم الأجساد في المكان، حيث يتم تقسيمها، وتفريقها من خلال عملية العزل، ويكون حسب اختلاف وضعية أصحابها.

الكلمات المفتاحية: الرقابة . الحفر . الايطيقا . السلطة . العقاب .

Abstract :

The With Michel Foucault, at the beginning of the nineteenth century, a major change occurred in the methods and mechanisms of power, so that the authority moved from the use of disciplinary methods based on punishment, to the use of organizational methods based on control, so that this class became fully organized for the various aspects of life with a social dimension, and Organizing public relations between people, maintaining security, and working to provide all the requirements of life in accordance with the modern strategy, and the new punitive theory in front of the organization of power, and these physical techniques appear in the process of

dividing the bodies in the place, where they are divided, and separated from During the isolation process, it is according to the different status of the owners

المؤلف المرسل: لوط التالية جامعة مولاي الطاهر سعيدة.

1. مقدمة:

ما بعد الوجودية في آخر شذرات نقد العقل الديالكتيكي لسارتر تنعطف الرقابة من الآخر الأنطولوجي إلى اللامنطوق داخل الفلسفة البنيوية التي تعطي الأولوية للتزامن على التعاقب، و من خلالها حاول ميشال فوكو أن يبحث عن أجوبة لأسئلة ارتبطت بالإنسان و التاريخ و المعرفة والسلطة في أرشيف الغرب الأوروبي، منتهجاً المنهج الأركيولوجي لجسد حقيقة الرقابة التي من خلال مقالنا نحاول تقريبها إلى الخطاب اللامنطوق، من خلال الجنون والعزل والسلطة عند فوكو، من أجل توضيح اسقاطات فعل الرقابة أخلاقياً كونه من أجل تحقيق إنسانية الإنسان، والبحث عن القيم والحقيقة الذي هو جوهر البنيوية الفلسفية، فكيف تجسد فعل الرقابة عند ميشال فوكو؟ وكيف أسس فوكو لأخلاقيات و ابستيمي السلطة والجنون والعزل والنظام وتمفصلاته ؟.

هذا ما نحاول الإجابة عليه في تتبعنا التحليلي لايطبقا فعل الرقابة وتطبيقاتها على الجسد و صيورتها في العزل وتأويلاتها من خلال السلطة و النظام عند ميشال فوكو.

2- أخلاقيات الرقابة عند فوكو:

1/ 2 . ماهية الرقابة:

إنَّ القضية التي يحاول ميشال فوكو إبرازها هي تلك الأعمال التي يُراد منها حفظ المجتمع، و ضمان صحة الأفراد و حقوقهم، هي التي تختفي داخلها كل أشكال الهيمنة والسيطرة على الفرد و المجتمع، لأنَّها تخدم مصالح الطبقات المسيطرة « إذ في المجتمعات الحديثة، و ابتداءً من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، من جهة تشريعات و خطابات، و تنظيم للقانون العام، متمفصل حول مبدأ السيادة للجسد الاجتماعي، و تفويض كل واحد لهذه السيادة للدولة، و من جهة أخرى لدينا في الوقت نفسه، يتم التأطير للإكراهات الانضباطية، التي تضمن و تؤمن فعلياً انسجام ذلك الجسد الاجتماعي» (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2003، صفحة 61) ولكن رغم

اهتمام المؤسسات بحياة الفرد، والعمل على حفظ هذه الحياة، إلا أنَّ حقيقة الأمر تكشف غير ذلك، إذ تنظم حياة المجتمع وفق علاقات القوى، ومنح حق السيطرة والهيمنة للفئة الأكثر قوة. أدى حفر ميشال فوكو وتنقيبه إلى اكتشاف أنَّ الحضارة كانت مبنية على مظاهر التهميش، والتعنيف، وكل أشكال التعسف، والاكراه، وأصبحت حقيقة المجنون، والمهمش، والمنحرف، والشاذ، مغيبّة تماماً عبارة عن لاوعي المجتمع، وأسراره الفاضحة، والمكبوتة « و لعل جهد فوكو الأركيولوجي، ليس إلاَّ محاولة لقراءة لحظات حاسمة من تاريخ الفكر الغربي، بإظهار الخلفيات المعرفية، والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية التي تحكم العلاقة بين الفرد والمجتمع، إذ كيف يُمكن الفرد أن يتعرّف على ذاته، في خضم تطوّر الدولة الحديثة، والإرادة السياسية لحياة الأفراد داخل المجتمع؟» (موسى، الفرد والمجتمع، 2009، صفحة 7)، في ظل أزمة المنبوذ، وبؤس المهمش، ومرض الشاذ، واعوجاج المنحرف، وذنوب المجرم وعنف المتمرد. لم يقتصر الأمر على المجنون فقط، بل تجاوز ذلك للمجرم بحيث يشكل التعذيب نموذج العقاب، إذ يقترح فوكو في كتابه «المراقبة والمعاقبة - Surveiller et punir» أنَّ معالجة العقوبات والسجن كوظيفة اجتماعية، لا كمجرد ميكانيزمات قمعية، ومنه أصبحت مشاريع السجون في القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر، عند جريمي بينتام تؤسس على شاكلة البرنامج الهندسي البنائي المشتمل، تتم من خلال مراقبة الجميع بنظرة واحدة يسمى بـ «البانوبتيك» *، لأنّه كان كاسلوب الأكثر مباشرة لترجمة، الذكاء، الانضباط والسجن في ذاته يدخل ضمن تقنيات الانضباط إذ أصبحت المؤسسات الأخرى تؤسس على منواله أيضا.

حاول ميشال فوكو في كتابه «استعمال المتع - L'usage des plaisirs» دراسة السلوك الجنسي في الفكر اليوناني الكلاسيكي كميدان للاختيارات الأخلاقية «إنّه لا يمكن للإنسان أن يتّشكل كذات أخلاقية في استعمال المتع، دون أن يتّشكل في نفس الوقت كذات عارفة» (فوكو، تاريخ

* البانوبتيك: مُشتمَل: **panoptique** بناء مصنوع بشكل يمكن اشتغال داخله بنظرة واحدة، و ربما يقابله في العربية الصرح الممرّد في قوارير، و البانوبتيكية أو الإشراف بفضل لها الكلمة الأجنبية لأنها مصطلح مولّد في الغرب (فوكو، المراقبة و المعاقبة، 1990، صفحة 206).

الجنسانية ج 2، 2004، صفحة 85)، لقد كان الهدف من وراء جينياولوجيا الذات الرغبة، هو لماذا يشكل السلوك الجنسي موضوع انشغال أخلاقي؟ فالرقابة الشخصية الفردية برزت في إطار الحقل الوثائقي ضمن السجلات والتقارير، حيث يتم تسجيل السمات الفردية المقررة من خلال تحليل وتقنين طبي، للدلائل السرية للسلوك والتفاعلات.

2 / 2 . تجليات فعل الرقابة في السلطة:

إنَّ صورة السلطة «pouvoir» في نظر ميشال فوكو تأخذ منحى آخر، فهو لا ينظر إليها على أنَّها مؤسسة أو بنية، ولا على أنَّها قوة مُنحت للبعض، بل تتجاوز ذلك إلى أنَّها استراتيجية معقدة داخل المجتمع « إنَّ السلطة ليست شيئاً يحصل عليه، أو ينتزع، أو يقسم، شيئاً نحترقه أو ندعه يفلت من أيدينا، إنَّها تُمارس انطلاقاً من نقط لا حصر لها، وفي خضم علاقات متحركة لا متكافئة » (فوكو، جينياولوجيا المعرفة، 2008، صفحة 107) يتحول جسد الفرد عبر هذه التكنولوجيا الجديدة إلى موضوع للتنظيم، فالمدرسة، السجن، المستشفى، والعيادة، والجيش كلها مؤسسات لتنظيم الأجساد، ووضعها في إطار من الانضباط.

ومنه لا يجب حصر السلطة في مجموعة أجهزة الدولة، أو المؤسسات التي تجبر الإنسان عليها، إما عن طريق العنف، أو عن القانون، فهو ينظر للسلطة « من الأسفل، بمعنى أنَّه ليس هناك، في مبدأ علاقات السلطة، وكإطار عام، تقابلاً ثنائياً و كلياً بين المسيطرين والمُسيَّطَر عليهم، حيث أنَّ هذه الثنائية تَرْد، من أعلى إلى أسفل، على جماعات تضيق أكثر فأكثر حتى أعماق الجسم الاجتماعي » (فوكو، تاريخ الجنسية ج 1، 2003، صفحة 78)، يؤكد ميشال فوكو على أنَّ السلطة موجودة في قاعدة الهرم، أيَّ ترتكز في أسفل المجتمع، وتتجسد في الشوارع، والثكنات، والعيادة، والسجون، والمدارس.

يتحدَّث ميشال فوكو على الحداثة التي أفرزت عدة مكاسب تمثلت في الحرية، العدالة، الفردانية و عنها تمخضت العلاقات السلطوية « فالمجتمع ومؤسساته من مدارس، أطباء، كنائس، سجون، طبقات، مشاف، برلمانات، وسائل إعلام، تمارس السلطة والإكراه والتحكم، والمراقبة، والترويض، والتطويع بشكل رهيب، لدرجة تطيح بها كل مكتسبات الحداثة، و تجعل مستقبل الإنسان، وحياته الاجتماعية في خطر، الأمر الذي يستدعي ضرورة الكشف عن السلطة هذه » (صالح، الإنسان في عصر ما بعد الحداثة، 2013، صفحة 55)، ومنه تبلورت

نظرية السلطة على يد ميشال فوكو وأصبحت مغايرة للطرح الكلاسيكي، فالسلطة ليست الدولة لأنه ينفي أن تكون معادلة لها، أو النظم السياسية، أو الاقتصادية، وإنما هي وسيلة لتحليل « الخطاب - Discours » المعقد في المجتمع.

تعد السلطة أجهزة اجتماعية تمارس وظائفها الأساسية التي تسهر على التنظيم الاجتماعي، بغية تسيير كافة الأنشطة، والتنسيق بين المصالح العامة، بحكم هي القوة الأمرة والناحية لذا « يمنع فهم السلطة كمجرد علاقة بين دولة مهيمنة ومواطنين خاضعين، أو اختزال السلطة إلى مجرد هيمنة طبقية، كذلك أن الطبقة ذاتها لا يمكن أن تهيمن إلا إذا تشكلت كطبقة، وهو ما يفترض آليات سلطوية تمارسها على مجموع أفرادها » (العيادي، المعرفة والسلطة، 1994، صفحة 63)، لأنها الوحيدة القادرة على التأثير في الأفراد، والمتحكم في مجريات الأحداث، فهي واقع اجتماعي ناتج عن التواصل مع الآخر، لأن السلطة لن تتحقق بالإكراه والتصلب، فباستطاعتها تأمين الأمن والطاعة، من خلال توجيه سلوك الفرد داخل المجتمع نحو تحقيق الأهداف والغايات، التي يسطرها من له القدرة على فرض إرادته.

ويذكر في «إرادة المعرفة - Volonté du savoir » عام 1976 م أن السلطة وسيلة لتحليل الطريقة التي تشكل بها الذات الغربية، كموضوع معرفة لذاته إذ يعني فوكو « بكلمة سلطة الاستراتيجية التي بواسطتها تفعل موازين القوى فعلها، والتي تتجسد خطتها العامة، أو تبلورها المؤسسي في أجهزة الدولة، وصياغة القانون، والهيمنة الاجتماعية » (فوكو، إرادة المعرفة، 1994، صفحة 101)، هنا نجد أن فوكو يعني بالسلطة نظاماً عاماً، تمارس عملها الدائم على الأفراد، لكن دون أن تأخذ السلطة نمطاً من الخضاع، فهي لا تعتمد على العنف في القيام بوظيفتها بقدر ما تمارس من خلال التحايل والتحكم، هذا لأنها تسري بشكل ضمني داخل الجسم الاجتماعي.

3- أركيولوجيا فعل الرقابة:

1/3 . الرقابة والجسد:

من الصعب حصر مفهوم الرقابة في أعمال فوكو حيث لا نجد استعمالاً أحادياً أو تطبيقاً وحيداً له ما يفى بالمراد « ويني فوكو من السجلات التاريخية، هيكل المناخ الاجتماعي، و المعتقدات السائدة عن الجنون، وبدقة بالغة كاشفاً عن الكيفية التي أفضى بها تغير الأفكار، و

الحاجات إلى عزل المجنون في المستشفى بعد 1656 م ، عندما تأسس المستشفى العام في باريس» (كريزويل، 1993، صفحة 297) يرى فوكو أن الدول التي تعمل على الآليات الرقابية فإنها تربطها بالضبط بجميع المجالات، وقد تجسّد ذلك بصور متعددة في عصر الجنون. فقد حدث وإنّ جُلد المجانين أمام الملأ بحيث يطلق سراح المجنون و« تتم مطاردته إلى أن يغادر المدينة، والعصا تهوي على ظهره ، إنّها اشارات تدل على أنّ مغادرة المجانين للمدينة تدخل ضمن طقوس أخرى للإقصاء» (فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، 2006، صفحة 32) ، وقد كان الإقصاء كلي للمجنون واعتباره من الشواذ في المجتمع ، فكان من الضروري نبذه بحكم أنّه يشكل خطراً على المجتمع، ولكن الأمر لم ينتهي هنا، بل تجاوز ذلك إلى نقلهم إلى أماكن بعيدة.

تميّز العصر الكلاسيكي بالحجز، والاكراه، و القمع بكل الوسائل ، بحيث تم استغلال المحجوزين كيد عاملة رخيصة « فالجنون في العصر الكلاسيكي صار يمثل خلافاً عقلياً، وبالتالي قيمة أخلاقية سلبية، لذا فإن دور مكان الحجز كان يشتمل في العزل والتأديب، والتطهير لأنه كان ينظر للجنون بما هو مرض جسيم» (مهيل، من النسق إلى الذات، 2007، صفحة 49) فالاهتمام بالمجانين في تلك الفترة كان مرتبط بالعوامل الاقتصادية، لا بالعوامل الصحية أو الإنسانية، كما يرجع فوكو السبب الأول للحجز إلى انتشار البطالة، وعليه انتقل المجنون من حالة خطرة على الآخر إلى صفقة مربحة في يدي مستعمليها، و« أصبح فرداً اجتماعياً في القرن الثامن عشر، ولأول مرة أعيد استفساره» (Foucault, 1961, p. 373)، ومنه أصبح الاعتراف بالمجانين حتمية تفرضها المقاربة الاقتصادية للبطالة هي التي سمحت بالاعتراف بالمجنون في أوروبا.

كان يتم وضع المجانين و الحمقى في سفينة و الإبحار بها، وقد سميت « سفينة الحمقى»* نظراً لما كانت تقوم به لنقل الحمقى، ويشهد على ذلك واقع الإقصاء، و النبذ الذي

* **سفينة الحمقى**: هي سفينة لم تصنعها حقائق التاريخ و الممارسات الفعلية، بل صنعتها حاجات الخيال الإنساني، الذي فتنه عالم الجنون فصاغ حوله مجموعة كبيرة من الحكايات، فالتخلص من المجانين و

تعرض له المجانين طوال فترة النهضة، ما حصل في تلك الفترة للحمقى، و المجانين يجسد واقع تاريخي لا يمكن إنكاره أو الهروب منه، غير أنَّ ما أعطى لهذه الحادثة مشروعيتها، وقوتها هي أبعادها الإيحائية، واتخذوا من القلق تجاه عالم الجنون ذريعة يتسترون بها عن أفعالهم الشنيعة، وقد صاغ كل ذلك الأحاسيس التي تسللت إلى الثقافة الغربية.

2/3 . الرقابة و العزل:

اتجه اهتمام ميشال فوكو منذ البداية إلى التعرف على المجانين، وكيف عزلوا عن غيرهم، متبني في ذلك منهج حفري، يساعده في التّقيب داخل الهيئات التي تحدد جنونهم، و المؤسسات التي كلفت بعلاجهم، وكيف تم حجزهم، وتساءل حول المناهج التي اعتمد عليها في ممارسة الإكراه، و التعذيب، و العلاج وقد كانت دراسة فوكو الرئيسية المبكرة الأولى: « الجنون والحضارة » نسخة معدلة من أطروحته للدكتوراه، « حيث تناول العلاقة بين الجنون و السببية، و قام بدراسة مسحية لردود الفعل المتغيرة تجاه الجنون، وفقاً للطريقة التي يتغير فيها التفكير في العقلانية بصورة حادة منذ فترة العصور الوسطى، و مروراً بالتنوير ووصولاً إلى القرن التاسع عشر، و كانت تلك أهم أعمال فوكو وأكثرها قيمة من الناحية التاريخية » (سكوت، 2009، صفحة 293)، و يقرأ « تاريخ الجنون » كحفر عقلي في جذور التشكيلات الخطابية، التي حكمت الكلام والتفكير، عن الجنون منذ القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر.

وقف ميشال فوكو في البداية بدراسة الجنون، من خلال كتابه « تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي - Histoire de la folie » عند مفهوم الجنون و كيف تم اختزاله إلى السكون و الصمت، نظراً لعدم وجود صوت خاص به، فهو يوجد بشكل مشوش في الشخصيات المناهضة لما هو اجتماعي، و قد وضّح ميشال فوكو كيف كان المجنون بمثابة المنبوذ في حدود منتصف القرن السابع عشر (ليتشة، 2008، صفحة 236)، غير أنَّ الملاحظ بعد ذلك أكّد أنّ شكل

الإبحار بهم إلى أماكن بعيدة عن المدن الرئيسية (فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، 2006، صفحة 12).

الجنون يتغيّر بين عصر النهضة والعصر الكلاسيكي، ولم يقصر على ذلك فحسب بل حتى استراتيجيات المجتمع هي الأخرى تغيرت في التعامل معه.

وهنا توصل ميشال فوكو إلى نتيجة مفادها أنّه لم يكن يُنظرُ إلى الجنون كمرض عقلي، إلّا مع مجيء القرن التاسع عشر، أين أصبح الجنون يعالج طبياً، واعتُبر مرضاً عقلياً، ويستقصي الكتاب «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي» ظهور المفهوم الحديث للمرض العقلي في أوروبا، الذي تَكون من خلال عمله الأرشيفي الضخم «بحيث يتحول المجنون إلى كوميديا من درجة ثانية، إنّهُ يقول في لغة الأبله التي لا تتميز بأي عقل، كلام العقل الذي يفك من خلال السخري عقدة الكوميديا» (فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، 2006، صفحة 35) فإذا كان العقل يمثل مجلّ المؤسسات الحكومية داخل بنية المجتمع في تلك الحقبة « فمن الممكن أن يعمل التحليل النفسي ابتداء من منتصف القرن العشرين وكأنّه حوار الحقيقة ، إذ من خلاله يمكن أن نقوم بتحليل كل المؤسسات الأخلاقية » (foucault, p. 88) فإنّه يظهر كعقل منافي للجنون و التنديد به، و التشهير بكل ما يصدر عنه في تلك الحقبة، باعتباره سلب للحياة. إنّ مكان الحجز كمؤسسة تتبنّى تقنيات جديدة، واستراتيجيات هي الجانب الخفي للسلطة، أو ما يسميه فوكو « ميكرو فيزياء السلطة Micro-pouvoir » إذ « أصبحت موضوع عمليات سياسية، و حملات ايديولوجية للإصلاح الأخلاقي، أو التحسيس بالمسؤولية، يتم ابرازها كمؤشر على قوة مجتمع ما، ينم عن طاقته السياسية، وقوته البيولوجية » (فوكو، إرادة المعرفة، 1994، صفحة 147)، وتعمل هذه السلطة التأديبية، الانضباطية ، كاستراتيجية لترويض و اخضاع الأجساد من الناحية السياسية، ولكنه اخضاع نافع من الناحية الاقتصادية .

4- آليات العقاب و مظاهره:

4/ 1 . التجسد الأخلاقي:

هناك حقيقة أنكرها المجتمع، وهذا ما فضّحه فوكو في دراسته الأركيولوجية «Archéologie» القائمة على جدلية العقل و الجنون ، أين تم في تلك الفترة استبعاد المجنون الذي المغاير للإنسان العاقل، و هنا تم إجلال العقل على حساب الجنون، تم اخضاع المجنون للرقابة الأخلاقية باعتباره مذنباً في الحقيقة لا مريضاً، عن طريق زرع القلق والاضطراب في أعماقه، و اجباره على العمل كقيمة أخلاقية « لكي نفهم بأنّ ضرورة العمل كانت موجهة نحو ممارسة

إصلاح، وإكراهات أخلاقية، إن لم تسلمنا المعنى النهائي للحجز، فإنَّها تبرر وجوده» (فوكو،

تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، 2006، صفحة 97)، وهي في الحقيقة تخفي القيمة الاقتصادية، فحينَ نمعن النظر، نجد أنَّ سلسلة الأحداث التي طرأت هي التي هزت الأساسيات، وجعلت هذه الحقائق في النهاية مسْتَترة، ومطموسة، وجب الحفر والتنقيب عنها حتى لا تضع حقوق هؤلاء المقصَّين اجتماعياً « كانت الاستخبارات تشكل اقتراحات صحيحة مع بداية تاريخ الطب العقلي حول ما وصلت إليه حرية الجاني وعلاقتها بالجريمة المفتعلة، واقتراح العلاج الصحي لها » (foucault, surveiller et punir, 1975, p. 20).

لا مجال للحديث عن الفرد خارج الاطار الاجتماعي، بحيث لا يستطيع الإنسان العيش بمعزل عن الجماعة التي تكونه وتؤسس له، وتقبله عبر مبدأ التناقض، والمغايرة « لا تقتصر مراقبة أفراد المجتمع على مستوى الفهم والوعي والايديولوجيا، بل تتعدى ذلك إلى مراقبة الأجساد » (foucault, la naissance de la medcine social, 1974, p. 210) ومن هنا نجد أنَّ ميشال فوكو قد حاول قراءة لحظات حاسمة من تاريخ الفكر الغربي بإظهار الخلفيات المعرفية، والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية التي تحكم بين الإنسان ومجتمعه.

فالسُّلطة تتواجد داخل النسيج الاجتماعي، فهي متعدّدة الأشكال والمظاهر، بحيث لا توجد السُّلطة خارج علاقات أخرى، بل تقبّع داخل المجال الذي تمارس فيه «فهي لا تعطى، ولا تتم مبادلتها، ولا تؤخذ، بل تمارس، وإنَّها لا توجد إلّا في فعل أنَّ السُّلطة ليست نتاج العلاقات الاقتصادية، ولكنَّها وفي ذاتها علاقة قوة » (فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، 2003، صفحة 42)، ومنه فإنَّ مراقبة المجتمع للأفراد، لا تتم فقط على مستوى الوعي، والايديولوجيا، وإنَّما على مستوى الجسد، فمن ترويض جسد المجنون داخل الحجز إلى ترويض المجرم داخل السجن، إلى مراقبة الطفل، والتلميذ، والمرأة، والشواذ، وهي عمليات تهدف إلى خلق جسد انضباطي، وهذا ما نصت عليه عقلانية العصر الكلاسيكي.

كما يتابع ميشال فوكو هوس السُّلطة وتجلياتها على الجسد وعلاقتها به في أغلب مؤلفاته وقد اتضح في مؤلفه الضخم « تاريخ الجنسية - Histoire de la sexualité » وتحديداً أدائه الحيوي الجنسي، وكيف يتم التعامل مع لذات ومتع الجسد، حيث أصبح اعداد جنسانية نافعة اقتصادياً ومحافظة سياسياً، ومنه أصبح الأفراد في قبضة السُّلطة من خلال

استراتيجية الاعتراف « فالفحص الطبي، والبحث الطبي، العقلي، والتقرير التربوي، والمراقبات العائلية ، إنَّ كل هذه الأشياء يمكن أن يكون هدفها الكلي و الظاهر أن تقول : لا لكل الجنسانيات النائية أو غير المنتجة » (فوكو، تاريخ الجنسانية ج 1، 2003، صفحة 40)، فتكنولوجيا السلطة هي تكنولوجيا انتاج الفرد، تمثل هذه السلطة في توظيف الجسد من قبل العلاقات السلطوية، المراقبة للسلوك الجنسي لمتع الجسد وطاقاته، و بالتالي التمييز بين متع نافعة يجب تحويلها الى أهداف انتاجية، و متع غير نافعة يجب اقضاء أصحابها.

2/4 . التجسد السياسي:

تحيا السلطة دائما في صراع مستمر، لأنَّها تتجسد في حضور المعرفة، وأسسها بُغية الوصول إلى حقائق، إذ يرى فوكو أنَّ الحقيقة لم تكن دوما خارج السلطة، ولا يمكنها أن تنشأ إلا في ضوء المعرفة « لذلك نجده يقوم بتحليل علاقة السلطة بالحقيقة، في كل الممارسات الاجتماعية، والخطابات اللغوية، والمؤسسات العلمية، للكشف عن الجذور السلطوية للحقيقة » (بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، 2000، صفحة 65)، ولم تعد السلطة تهتم بإرقاة الدماء كما كان سابقا، بل أصبحت أكثر تميزاً، بعد أن أعادت النظر للإنسان كونه قوة منتجة، وفعالة داخل الأطر الاجتماعية، وعملت على استثمار الحياة، من منظور السياسية الجديدة للسلطة وهذا ما يسميها فوكو « السلطة الحيوية La bio-pouvoir » أما إذا أخذت طابعها الانضباطي أو التنظيمي فهي ما يسميها « السياسة الحيوية La bio-politique ».

وقد تم معالجة اشكالية العقاب، وتحويلها من فن تعذيب، و تطويع الجسد إلى فن تعذيب الروح، و بات ينظر إلى المجرم على أنَّه مريض يحتاج إلى اصلاح « غير أنَّه في الوقت ذاته الذي اتخذت فيه السلطة الحياة موضوعاً أو هدفاً، نجد أن مقاومة السلطة كانت هي الأخرى تستند إلى الحياة، وتحويلها إلى سلاح ضد السلطة » (دولوز، المعرفة والسلطة، 1987، صفحة 99)، وعليه تم قبول الحياة كموضوع سياسي، كما حولت هذه الأخيرة كمعارضة للنظام الذي كان يسعى إلى كبجها، خاصة بعد أن أصبحت السلطة تعمل على التقويم عن طريق الاستراتيجيات، التي انتهجتها الدولة في التعاطي مع ظهور الجسد، والانتقال من الاعتقال و

الاعدام إلى العلاج والإصلاح، ولا يعني هذا تغيير منطق السلطوي الذي حكم علاقة الدولة بشواذها.

تتأكد السلطة في صورة المؤسسة التي جوهرها الإصلاح القانوني، القائم على أصول تشريعية تتكيف مع الحياة الجماعية، فداخل العلاقة الاجتماعية لا تلجأ السلطة إلى الإكراه و القسوة، حتى يتم احتواء الأفراد واحترامهم» فالسلطة ليست مجرد قوة عنيفة قائمة على المنع والارغام، إذ لا يشكل العنف الجوهر الذي به تكون السلطة وبدونه لا يتأتى لها أن تمارس» (العيادي، المعرفة والسلطة، 1994) فالتنظير للسلطة حسب فوكو هو البحث عن الاستراتيجية التي تمارس من خلالها، لأنّ القوة ليست مجرد وسيلة تستعملها السلطة في حالة عجز جميع الوسائل الأخرى، كون هذه القوة تحمل كل جمالية الحب والحياة، وقوة واثقة بذاتها، وقادرة على تحطيم كل الأفكار المتحجرة، حتى وإنّ بدت في المجال السياسي تمثل كل مظاهر العنف و التسلط والاستبداد.

5- الخاتمة:

وختاماً لهذه الورقة البحثية نصل إلى أنّ عمل فوكو في هذا السياق كان يهدف إلى إبراز آليات الرقابة التي تتجسد في فضاءات مرئية، لها وجود مادي ملموس، يمكن التعرف عليها بسهولة سواء في المدرسة، العائلة، المعمل، المستشفى، الثكنة، السجن. إنّنا نحاول التدريب على كيفية التفكير بوجه آخر حسب تعبير فوكو، والآخر، هنا هو ما أحيل على الصمت، وأقصي في الهامش، لذا كان لابد من استنطاق المسكوت عنه، واستقدام المقصي، واستحضار المنسي، ومساءلة المهمش. يوضح فوكو، أنّ الجنون لم يكن ما كان يعتقد «الطب النفسي» فهو لا يتجلى إلا وهو شيء آخر غير ذاته؛ فالمجنون لا يكشف عن نفسه من خلال كينونته، إلا إذا كان ثابت الوجود، والحال أنّه المختلف. وتكشف هذه القراءة في النص الفوكوي، عن قوة رقابية مفروضة على المجنون وقد رافقته مدة زمنية من التاريخ.

وقد طبق ذلك حتى على الحمقى، والمجانين، وكان الطرد يقتصر على الحمقى الغرباء عن المدينة، فمهمة فوكو من خلال كتابه «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي» تكمن في أنّه يجهد لإبراز ذلك التقسيم بين ما هو العقل والاختلال العقلي، وقد استعار أدوات بحثه من الأدب، و

الفن، والفلسفة ، فكل مدينة كانت تتكفل بحمقائها، وكان رحيل المجانين، وعودتهم ذات منفعة اجتماعية، واستقرار لأمن المواطنين، فحتى وإن كان للمجانين الحق في ولوج الكنيسة، وممارسة طقوس التعبد، إلا أنهم كانوا محرومين منها.

كما أن الرقابة على الأجساد من خلال رصد معلومات عنها في المستشفى ، في المدرسة، في الثكنة

وهذه المراقبة تؤدي إلى عمليات عقابية تسلط على الجسد إذا كانت هناك مخالفات ، وذلك لردع مثل هذه السلوكات ، فكلما كانت هناك مراقبة كان هناك انضباط. وقد تم معالجة اشكالية العقاب.

6- قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر:

أ. المصادر باللغة العربية:

1. ميشال فوكو، المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن، ترجمة علي مقلد ، مراجعة مطاع صفدي، مراكز الانماء القومي، بيروت، د.ط، 1990.
2. ميشال فوكو، إرادة المعرفة، ترجمة جورج أبي صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.
3. ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية، الجزء الأول، إرادة العرفان، ترجمة : محمد هشام، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2003.
4. ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية، ج 2 ، استعمال المتع، ترجمة: محمد هشام، أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2004.
5. ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006.
6. ميشال فوكو، جينياولوجيا المعرفة، ترجمة : أحمد السطاتي وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2008.

7. ميشيل فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، دروس أُلقيت في " الكوليج دي فرانس" لسنة 1976، ترجمة وتقديم وتعليق: الزواوي بغورة، محمد هشام، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2003.

ب - المصادر باللغة الفرنسية:

- 1- Foucault, Michel : Histoire de la folie a l'âge classique, Gallimard, 1961.
- 2- Foucault, Michel : La naissance de la médecine social, Dits et écrits, 1974, paris, Gallimard.
- 3- Foucault, Michel : Le pouvoir psychiatrique, op, cit.
- 4- Foucault, Michel : Surveiller et punir, op, cit.